

The Crisis of Moral Emptiness in Western Society from Erich Fromm's Perspective



Received: 17/10/2024; Accepted: 05/05/2026

حياة مشاط*

قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة البويرة- الجزائر
h.mechat@univ-bouira.dz

أزمة الخواء الأخلاقي في المجتمع الغربي من منظور إريك فروم

ملخص

الكلمات المفتاحية:

تدهور أخلاقي؛
مجتمع سوي؛
ثقافة استهلاكية؛
اغتراب؛
اصلاحات شاملة.

تهدف هذه الدراسة إلى كشف مواطن الخلل في الحضارة الغربية المعاصرة على ضوء المقاربة الفلسفية لإريك فروم الذي قام بتشريح دقيق لبنية المجتمع الغربي الذي أفرزته الحداثة، وتوصل إلى أن هذا المجتمع غير سوي ويعاني من أزمة حادة تتجسد في أزمة الخواء الأخلاقي التي كانت لها انعكاسات كثيرة على المجال العلمي إذ أصبح المشروع العلمي يوجه إلى تطوير مشاريع الموت مثل أسلحة الدمار الشامل وأبحاث البيولوجيا الحيوية التي أصبحت تهدد قدسية الحياة ، وعلى المجال الاقتصادي فإن الآلة الصناعية الضخمة حولت الإنسان إلى كائن سلبي مغترب كلياً عن نفسه وعن الآخرين، في المجال الثقافي أصبحت ثقافة الاستهلاك والتبذير هي الكاسحة مما أدى إلى اختلال فن العيش.

Abstract

This study aims to reveal the kinks in contemporary Western civilization in the light of the philosophical approach of Erich Fromm, who carefully dissected the structure of Western society produced by modernity, and concluded that this society is not sane and suffers from a severe crisis embodied in the crisis of moral emptiness, which has had many repercussions. In the scientific field, where the scientific project became directed to the development of death projects such as weapons of mass destruction and biological research that threatened the sanctity of life, in the economic field, the huge industrial machine turned man into a passive being completely alienated from himself and others, and in the cultural field, cultural consumption and extravagance became overwhelming, which led to an imbalance in the art of living.

Keywords:

Moral decline;
Sane society;
Consumer culture;
Alienation;
General reforms.

* Corresponding author, e-mail: h.mechat@univ-bouira.dz

Doi:

-I- مقدمة

ينتمي المشروع الفلسفي الذي صاغه إريك فروم (1900-1980) Erich Fromm إلى التراث الفكري للمدرسة النقدية الاجتماعية (مدرسة فرانكفورت) التي حاولت أن تقدم مقاربة فلسفية تساهم بها في حل مشكلات المجتمع الغربي المعاصر، وهي مشكلات أفرزتها الحداثة حين بالغت في تقدير العقل وعلفت عليه كل آمالها في تحقيق سعادة الإنسان. غير أن هذا العقل الذي اسند إليه الإنسان أموره سرعان ما انحرف عن الطريق العقلاني الذي رسمه عصر الأنوار، فلم يعد أداة لتحرير الإنسان، بل أضحت قوة تهدد وجوده وكيانه أكثر من أي وقت مضى، وخاصة بعد أن وجه إلى تطوير مشاريع الموت من خلال تطوير وسائل الدمار الشامل، وقد عبرت الحريين العالميتين الأولى والثانية عن المفارقات التي أخفتها الحداثة أحسن تعبير. كل هذه المشكلات التي نجمت عن أزمة الحداثة هي التي قلصت الإنسان الغربي المعاصر إلى بعد واحد المتمثل في البعد العقلي الحساباتي الذي طغى على جانب مهم في الإنسان ألا وهو الجانب الروحي العاطفي، بعد أن تراجعت جميع المرجعيات الدينية (اليهودية والمسيحية) تاركة المجال لبزوغ دين جديد هو دين العلم والتكنولوجيا.

وهنا ظهر مجموعة من الفلاسفة الذين سيعرضون المشروع الحداثي الغربي للنقد قصد ترميم بنيانه الذي بدأ يتآكل، ومن بين هؤلاء إريك فروم الذي حاول أن يدرس المجتمع الغربي بدقة من أجل فهم مصدر الخلل الذي تسبب في شلل الحداثة الغربية، لذا نتساءل عن أزمة الحداثة وما هي أسبابها ومستوياتها؟ كما سنبحث مع فروم الحلول الجديرة بتخليص الإنسان الغربي المعاصر من مآزق الخواء الروحي الذي نصبه العقل التقني الأدوات؟

-II- الهدف من البحث والطريقة المنهجية المتبعة :

تكمن أهمية بحثنا هذا في كونه يعرض محاولة جادة لفيلسوف إنساني (إريك فروم) الذي أراد أن يسترجع التوازن بين الجانب العقلي والجانب الروحي في الإنسان والذي غيَّب في المشروع الحداثي الغربي مما أدى إلى انحراف العلم والتكنولوجيا عن هدفهما الأصيل ألا وهو إسعاد الإنسان ليتحوَّل إلى كابوس يهددانه بالاندثار بعد انحلال الأخلاق وفقدان القيم الإنسانية النبيلة.

من الأسباب التي دفعتنا إلى البحث في مثل هذا الموضوع هو الكشف عن تلك الرؤية النقدية الفلسفية التي صاغها فروم لتحليل جوانب الأزمة التي بدأت تنخر جسد الحضارة الغربية المعاصرة وتهدد بفناء الإنسان؛ قصد سد الثغرات وإعادة ترتيب أحجار جدران الحداثة التي بدأت تتآكل يوم بعد يوم، وخاصة في ظل تعاظم قوى الشر وسيطرة المصالح الصناعية والعسكرية على العلم وتوجيه الاكتشافات الجديدة كما تشاء. فقد عمل على تشخيص الداء وبحث عن السبل الكفيلة لعلاجها لاسترجاع إنسانية الإنسان. وهدفنا هو أن نبين للقارئ العربي الوجه الآخر لهذه الحضارة الغربية التي انبهرنا بها ونقلدها دون نظر وتمحيص ففرطنا في تراثنا وأصالتنا من أجل العصرية فضيِّعنا قيمنا وفقدنا هويتنا. ولقد اخترنا المنهج النقدي التحليلي الذي يتوافق وطبيعة الموضوع المتناول، فتوقفنا عند لحظات هامة من تاريخ المجتمع الغربي خاصة بالعودة إلى دراسة البنية العقلية- السيكولوجية للإنسان الغربي خلال العصر الوسيط، ثم انتقلنا إلى دراسة هذه البنية في العصر الحديث للبحث عن الركائز الأساسية التي قامت عليها الحداثة الغربية منذ النشأة إلى أن بلغت أوج ازدهارها في القرن العشرين؛ وهذا من أجل معرفة تلك الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي خلقت شرخا كبيرا بين النظرية والممارسة، والمقصود هنا هو ابتعاد أو تجاهل الحداثة الغربية لتلك الغايات والأهداف التي صيغت في عصر الأنوار والتي وضعت كرامة الإنسان فوق كل اعتبار.

-III- أزمة العقل الحساباتي في المجتمع الغربي المعاصر:

للإلمام بجوانب الأزمة التي يعاني منها المجتمع الغربي المعاصر حاول فروم أولا أن يبحث في الأساس الذي قامت عليه البنية العقلية - السيكولوجية لهذا المجتمع، وهذا بداية من العصر الوسيط إلى القرن العشرين، وتوصل في هذا السياق إلى أن أهم خاصية تميز بها الإنسان الغربي في النظام الإقطاعي هي: خاصية الانتماء والعضوية؛ حيث كان الفرد في هذه الحقبة شديد الصلة بالجماعة التي ينتمي إليها، وكل شخص في هذا النظام يؤدي وظيفة ودورا ثابتا في تلك البنية الاجتماعية الشبيهة بالبنية العضوية. وشهدت الفترة الحديثة والمعاصرة تغيرا ملحوظا في البنية الثقافية في نظر فروم، لأن انتقال أوروبا من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي صاحبه مجموعة من التغيرات على المستوى الاجتماعي، حيث ظهر ما يعرف بالمبادرة الفردية التي اعتبرها فروم مكسبا في حد ذاته، لأن انتقال أوروبا من العصر الوسيط إلى عصر النهضة كان بمثابة إعادة اكتشاف للفرد الذي كبلته الأصفاد الدينية الكنسية.¹ فالنظرة التي سادت القرون الوسطى تنصب على تحقيق الخلاص الأخروي، فأخضع الإنسان لسلطة الكنيسة.

أما في عصر النهضة والعصر الحديث فإن الرؤية قد تغيرت جذريا، إذ تحول الإنسان إلى الاهتمام بالحياة وتحقيق الخلاص الدنيوي؛ وكان العلم هو الركيزة الأساسية التي اعتمد عليها مفكرو العصر الحديث بداية من القرن السابع عشر، إلا أن القرن التاسع عشر أضحت منعرجا حاسما في تاريخ الفكر البشري بوجه عام، لأن العلم انحرف عن هدفه الإنساني وتحول إلى قوة مضادة للإنسان تهدد بإنهاء وجوده على سطح الأرض، فتحول الأمل في تحقيق السلام والسعادة إلى مجرد يوتوبيا، وعبرت الحداثة الغربية عن فشلها الذريع خاصة في الحريين العالميتين الأولى والثانية، وما صاحبهما من عنف وتدمير لكل البنى الحية، وهكذا توارت كل الأهداف والغايات التي صاغتها الحضارة

الغربية، فتحول العلم من أداة للسيطرة على الطبيعة إلى أداة للسيطرة على الإنسان. ويقول فروم في ذلك: "إن الإنسان... يفقده الإيمان الديني والقيم الإنسانية المرتبطة بهذا الإيمان، فقد ركز على القيم التقنية والمادية، كما فقد القدرة على الخبرات الإنفعالية العميقة... والآلة التي شيدها أصبحت من القوة أنها طورت برنامجها وهو الذي يحدد الآن التفكير الخاص للإنسان"². يلخص فروم أزمة الحضارة الغربية في الأزمة الأخلاقية؛ والإنسان الغربي المعاصر في نظره أصيب بالخواء الأخلاقي وجفاف الجانب العاطفي والروحي فيه، نتيجة تراجع واختفاء كل القيم الإنسانية التي نصت عليها الديانات الروحية - كاليهودية والمسيحية فهما الديانتان اللتان اطلع عليهما إريك فروم - وثُرك المجال لدين جديد هو: دين العلم. يرى فروم أنه إذا كان القرن التاسع عشر قد عبّر عن تحطم الآمال التي علقتها البشرية في العلم والتكنولوجيا، فإن القرن العشرين قد عبّر عن فشله الذريع في تجنب كارثة موت الإنسان بمعنى موت الجانب العاطفي فيه، ونحت للإنسان طبيعة ثانية وقلصه إلى بعد واحد: بعد الإنتاج والاستهلاك والتملك ورسخت فيه بذلك الطبع النيكروفيلي، الذي يتصف بزيادة الاهتمام بكل ما هو ألي (ميت) والنفور من كل ما هو حي. ونيكروفيليا (necrophilia) هي عشق الموت ومقابلها بيوفيليا (biophilia) وهي حب الحياة، وهما مصطلحان معروفان في علم النفس. وفروم استعمل النيكروفيليا بمعنى المرض الذي يجعل الإنسان على ارتباط بكل ما هو ميت أو عشق الحياة عبر شيء ميت. فالطبع النيكروفيلي الذي اتصف به الإنسان الغربي المعاصر كان نتيجة حتمية لانطفاء الجانب العاطفي فيه، وهو أيضا نتاج التفكير العقلي المرتبط أساسا بالعلم الذي بدأ مع نهاية العصور الوسطى وتراجع القيم الأخلاقية الإنسانية التي نص عليها كل التراث الإنساني القديم ممثلا في البوذية والطاوية واليهودية والمسيحية³.

وبدأت ملامح طغيان الطبع النيكروفيلي في المجتمع الغربي في الحربين العالميتين الأولى والثانية لما صاحبهما من عنف وتدمير ووحشية. والحرب العالمية الثانية في نظر فروم قد عبّرت أحسن تعبير عن التوجه النيكروفيلي لدى المجتمع الغربي، وهذا جلي من خلال الاستعمال الكبير للطائرات في القتل الجماعي؛ فالذين يقذفون القنابل قليلا ما يدركون أنهم يحرقون في بضع دقائق ملايين الناس، وأطقم الطائرات الحربية لا يحسون أنهم يقومون بفعل القتل، وكل ما يهمهم هو الاستعمال الصحيح لأسلحتهم المعقدة على طول الخطوط المرسومة وفقا للمخططات المدروسة بعناية فائقة، أما النتيجة المترتبة عن أفعالهم من قتل وحرق وعطب لملايين من البشر فلاشك أنهم يعرفونها عقليا ولا يفهمونها عاطفيا. وهنا تكمن المفارقة لأن الذين اقترفوا أشنع الأعمال الوحشية لا يحسون أبدا بالذنب⁴، وهذه هي الخاصية الأساسية للطبع النيكروفيلي الذي يمتاز باللامبالاة بمعاناة الآخرين والانجذاب إلى كل ما هو ميت. رغم أن فروم يربط التقنية الحديثة بميلاد الطبع النيكروفيلي لدى الإنسان الغربي المعاصر لكن هذا لا يعني أنه ينادي بنبذ كل المنتجات التي وفرتها الحضارة الغربية من أجل إسعاد الإنسان ودفع الشقاء عنه. لأن فروم لا يريد أن يجر الإنسانية إلى عصر ما قبل التكنولوجيا، بقدر ما أراد التذكير بالأهداف والغايات الأساسية التي وجدت من أجلها التقنية ألا وهي خدمة الإنسان.

يرى فروم أن التوجه النيكروفيلي له علاقة مباشرة بظهور وتطور وسائل التدمير الحديثة التي تتسبب في سحق وتدمير وقتل الآلاف من الناس الأبرياء، وهذا بمجرد ضغطة زر مفردة، والمشرف على عملية القتل والتدمير لا يهتم بل لا يبالي بتاتاً بنتائج أفعاله؛ لأن هؤلاء الأفراد غرباء عنه، لا يراهم ولا يعرفهم. ويبدو الأمر هنا كما لو لم تكن هناك أي صلة حقيقية بين ضغط الزر وموتهم⁵. ويرجع فروم سبب انحراف المشروع العلمي المعاصر عن خدمة الأغراض الإنسانية التي وجد من أجلها إلى انفصال الوسائل عن الغايات، مما يعني اختلال مبادئ التسيير؛ فالوسيلة هنا يقصد بها فروم العمل، أما الغاية فتتمثل في تحقيق الخلاص الدنيوي، لكن ازدياد وتيرة العمل بشكل سريع أدى إلى تعليق وتأجيل السعادة والتمتع بالحياة إلى أجل غير مسمى⁶.

يرى فروم أن الاستغناء عن القيم الدينية، الروحية، والإنسانية والاكتفاء فقط بالعقل والإيمان بقدرته على تفسير الكون قد تسبب في اختلال التوازن في المجتمع الغربي المعاصر، ويظهر هذا الاختلال بوضوح في تلك المبادئ التي تسيّر المشروع العلمي المعاصر، ويلخصها في مبدئين أساسيين وهما: القدرة على الفعل ووجوب الفعل. أي أن النزعة الصناعية المعاصرة تربط بين القدرة على إنجاز وابتكار شيء معين ووجوب فعله. بمعنى إذا كان باستطاعتك صنع أسلحة نووية، فيجب أن تصنعها، حتى وإن كان هذا النوع من التكنولوجيا مدمرا للإنسان وللحياة بأكملها. وإذا كان السفر إلى القمر أو إلى الكواكب الأخرى ممكنا، فيجب أن يتم، حتى ولو كان ذلك على حساب احتياجات إنسانية لم تتحقق بعد على الأرض. ويعني هذا أن التقنية الحديثة تتصل من كل القيم الإنسانية التي نص عليها التراث الإنساني منذ الحضارات الشرقية إلى ظهور الديانات السماوية. إن القدرة التقنية على الإنجاز وحدها هي المبرر الكافي للإنجاز، ولا يهم إن كان الشيء المنجز أو المصنوع يطور الحياة أو يقضي عليها. إن التكنولوجيا الحديثة في نظر فروم يسيرها مبدأ اللامبالاة بالقيم الأخلاقية الموجودة في التراث الإنساني القديم. لأن في هذا التراث كان صنع الشيء يحمل في طياته الحاجة إليه؛ فما صنعه الإنسان في الحضارات القديمة هو ما كان يحتاج إليه في عيشه سعيا منه لتحقيق سعادته. أما الإنسان الغربي المعاصر فقد أسقط كل هذه الغايات وخاصة مع التطور التقني السريع أصبح المشروع العلمي بكل مظاهره مكرسا لصناعة الموت.

إن التقدم العلمي أصبح يوظف توظيفاً إيديولوجياً ويوجه لتطويع مشروع الموت بمعنييه البيولوجي والسيكولوجي: فالأول يتمظهر في الإبداع المستمر لوسائل الدمار الشامل، والثاني يتجلى من خلال قتل روح النقد والمقاومة لدى الإنسان عن طريق وسائل الإيحاء التي تخدّر وعيه وتجعله يتقبل الأوضاع القائمة، لذلك يقول فروم أنه: "عندما يصبح المرء شيئاً يموت حتى إن كان مرثياً ولا يزال حياً، وإن كان المرء ميتاً روحياً رغم أنه حي فيزيولوجياً، عندئذ لا يغدو خاضعاً فقط للتآكل، بل يصبح خطيراً، خطيراً على نفسه وعلى الآخرين"⁷. أي أن ذلك المخلوق الذي نطلق عليه اسم الإنسان أصبح يبتعد عن إنسانيته شيئاً فشيئاً حتى أصبح المجتمع البشري لا يختلف في كثير من النواحي عن المجتمع الحيواني. ورغم طغيان الملامح السلبية في المجتمع الغربي المعاصر إلا أن فروم مازال متفائلاً، ومازال يؤمن بوجود إمكانيات كثيرة لإنقاذه من جل مظاهر الاغتراب والسلبية التي اكتسحتها، لأن الطبع النيكروفيلي لم يستول على كل أفراد المجتمع. ويؤمن أن هناك فئة كبيرة من الناس الذين يجذبون إلى كل ما هو حي ويقدرّون الحياة، فهؤلاء بإمكانهم زرع الأمل من جديد لدى البشرية جمعاء. ومصدر تفاؤل فروم هو إيمانه بأن البيوفيليا (حب الحياة) هي النزعة الطبيعية في الإنسان، أما النيكروفيليا فما هي إلا صفة مرضية، ونتيجة حتمية لذلك النمو المرضي المعيق للحياة، فحسب فروم: "متى لم يستطع الإنسان أن يخلق الحياة، سيتجه إلى تدميرها"⁸ ويرجع فيلسوفنا أسباب التدمير والنيكروفيليا إلى العجز الاقتصادي الذي يقف حاجزاً أمام تحقيق الإنسان لأماله، فالظروف الاقتصادية التي يسودها العجز والاحباط تقضي إلى الكراهية والعنف⁹.

IV- مظاهر الأزمة في المجتمع الغربي المعاصر

1- التدهور الأخلاقي:

إن المشروع الحداثي الغربي في نظر فروم أعرج لا يقف إلا على ساق واحدة (العقل)، لأنه تجاهل كل القيم الروحية والإنسانية التي تنص على المحبة والتآزر بين البشر، وتناسى التراث الأخلاقي الإنساني القديم الذي كان يضع كينونة الإنسان وكرامته وجانبه الروحي في صميم اهتمامه، وهو الجانب الذي سيحاول إعادة بعثه من جديد واستعان في ذلك بالموروث الديني اليهودي المسيحي الذي نشأ فيه من أجل إحياء هذا التراث بكل أبعاده الأخلاقية. بعد تدهور الأخلاق وتراجع كل المرجعيات الدينية وأصبح العقل هو المصدر الوحيد الذي تستقى منه كل المبادئ التي تنظم حياة الأفراد، وخاصة في ظل التطور الاقتصادي المذهل الذي حققه النظام الجديد (النظام الرأسمالي) بتشجيعه للحريات الفردية وتطوير المنظومة الصناعية إلى أن أصبحت القيم الإنسانية تتحدد بالقيم الاقتصادية، فما هو صالح للآلات لا بد أن يكون صالحاً للإنسان أيضاً، وهذا هو المنطق الذي فرض نفسه في المجتمع الغربي في نظر فروم¹⁰. هذا المجتمع يتحكم فيه قانون السوق، إذ أصبح الإنسان ينتج أشياء لا يستفيد منها بتاتاً، لأن التصنيع ما عاد يقوم على مبدأ الحاجة كما كان عليه سابقاً. الأمر الذي جعل فروم يصف الإنسان الغربي المعاصر بالسلبية التي يعني بها تراجع الفكر النقدي واقتصاد وظيفة الفرد على الإنتاج والاستهلاك¹¹. فالنظام الصناعي المعاصر رسّخ ثقافة التملك لدى الفرد إلى حد أصبح فيه الإنسان ينزع إلى امتلاك أكبر قدر من الأشياء، حتى وإن لم تكن لها أي وظيفة استعمالية، ونزعة التملك هذه أدت إلى تشيؤ الإنسان واغترابه واضمحلال كينونته. ويقول فروم في هذا الصدد: "إننا نعيش في مجتمع أكثر وثنية وصنمية، إذا ما قورن مع مجتمع القرون الأولى"¹². أي أن ثقافة التملك التي رسختها الإيديولوجية الصناعية أدت إلى اغتراب الإنسان الغربي المعاصر، والتي يعتبرها فروم ظاهرة مرضية معقدة، فما يعنيه بمفهوم الاغتراب وما هي ومظاهره؟

2- الاغتراب الشامل مرض الإنسان الغربي المعاصر:

تعد ظاهرة الاغتراب الشامل التي يعاني منها الإنسان الغربي المعاصر من بين المسائل الأساسية التي أولى لها فروم اهتماماً كبيراً، وقد تطرق إلى هذه الظاهرة في العديد من كتاباته التي تتناول قضايا الإنسان المعاصر. ففي كتاب "المجتمع السوي" يعرف فروم الإنسان المغترّب بأنه هو ذلك الشخص الذي لا يختبر ذاته بوصفه حاملاً لقدراته وتراثه، بل بوصفه شيئاً معدماً، معتمداً كلياً على قدرات خارجة عنه والتي أسقطت جوهره الحي¹³. أي أن الاغتراب عنده هو شكل من أشكال الوثنية أو الصنمية التي تعني استسلام الإنسان وركوعه لأشياء من انتاجه. فالوثنية المعاصرة تتجسد في عبادة الأشياء والربح والكسب المادي وعبادة الزعيم والرأي العام والدولة، إلى أن أصبح الإنسان في المجتمع الصناعي المعاصر عديم المعنى، حيث يقول فروم: "إن المرء في هذا المجتمع ليس قليل الشأن فحسب، بل هو لا شيء، لأنه محكوم بأشياء وظروف من صنع نفسه"¹⁴. أي أن الإنسان المغترّب في نظر فروم تكون كل أفعاله وقواه العقلية غريبة عنه، وتقف فوقه وضده، وتحكمه بدلاً من أن يكون هو المتحكم فيها، لأنه حوّل قوى حياته إلى أشياء ومؤسسات، وقد أصبحت هذه الأخيرة أصناماً يعبدها ويخضع لها¹⁵. إن الإنسان الغربي المعاصر صنع التكنولوجيا من أجل السيطرة على الطبيعة التي غالباً ما كانت تقف حاجزاً أمام تحقيق كماله، إلا أن هذه التكنولوجيا أضحت تهدد وجوده ككيان بيولوجي وروحي.

إن أبشع مظاهر الاغتراب عند إريك فروم تتجسد في ضياع الأمل وهي الخاصية التي بدأت تكتسح الثقافة الغربية المعاصرة، لأن الإنسان في هذا المجتمع أصبح يلخص هدف الحياة في العمل، فاندثرت بذلك كل العلاقات الإنسانية بين الأفراد. مهما تعددت مظاهر وأشكال الاغتراب عند فروم إلا أنها تصب في معنى واحد وهو اغتراب

المرء عن ذاته وعن الآخرين، كونه فيلسوف ينتمي إلى النزعة الاشتراكية الإنسانية التي تبحث في كيفية إعادة بعث الفاعلية والحيوية في المجتمع. ويسعى من خلال انتقاداته إلى الكشف عن مواطن الخلل في الحضارة الغربية المعاصرة من أجل إنقاذ إنسانها من الضياع. ويؤكد أن ليس هناك آفة تخل بتماسك النظام الاجتماعي في الغرب أكثر من مرض الاغتراب، ويركز كثيرا على الاغتراب عن الذات وعن الآخرين لأنه مرض ناتج عن فقدان الثقة في النفس والتشكيك في قدرتها على مواجهة الواقع بكل تعقيداته، وتشكل هذه الظاهرة خطرا على مستقبل المجتمع الغربي في نظر فروم. إن الثقة في الذات هي الركيزة الأساسية التي بنيت عليها الحداثة الغربية في القرن السابع عشر، حيث كان المبدأ الأساسي الذي اعتمده الإنسان آنذاك من أجل بلوغ مساعيه تلخصه العبارة التالية: الثقة في الذات هي مفتاح المعرفة، وهذا منذ فلسفة ديكارت التي شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الفكر الغربي، فيمقولته الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود" أعاد الاعتبار للذات وقدرتها على بلوغ المعرفة، فسارت الحداثة على خطى ديكارت في تقدير العقل، واستطاع المجتمع الغربي أن ينتقل من بنية عقلية- سيكولوجية وجهت كل مساعيها إلى تحقيق الخلاص الأخروي إلى بنية عقلية- سيكولوجية جديدة تمجد العقل وتشجع على الحياة وتخلق شروط وجودها. إن الثقة في قدرة الذات على حل مشاكلها هو المبدأ الأساسي الذي دفع الحضارة الغربية إلى التطور والازدهار في شتى المجالات، لكن هذا المبدأ بدأ يتوارى خاصة في القرن العشرين بعد أن طغت قيم التصنيع على قيم الكينونة، وأصبح نجاح الفرد لا يتوقف على مجموع القيم الإنسانية التي يملكها، بل على النجاح الذي يحققه في الأسواق التنافسية. يرى فروم أنه في مثل هذه الحالة "يصبح احترام المرء لنفسه مترجرا [مضطربا]، وفي حاجة مستمرة إلى تأكيد الآخرين له"¹⁶ بمعنى أن الأخلاق الجديدة التي صاغها النظام الصناعي المعاصر تنص على نكران الذات واستبدالها لا على تقديرها والإعلاء من شأنها. فأصبح الإنسان الغربي فاقدا لكرامته.

يرى فروم أن الإنسان الغربي المعاصر سُن لنفسه أخلاقا جديدة "لا تنص على تحقيق الذات في عملية استخدامها بل في نجاحه في عملية بيعها"¹⁷. والمعنى المقصود هنا هو أن الإنسان الغربي المعاصر أصبح يربط وجوده بمجمل ما يملكه من أشياء إلى حد أصبحت كرامته شيئا بلا قيمة، في حين أن الإحساس بالكرامة هو الخاصية الأساسية للإنسان حتى لدى الشعوب الأكثر بدائية. فالإنسان الغربي المعاصر حسب إريك فروم يعاني من فقدان تطابقه وانسجامه مع ذاته، الأمر الذي جعله يبحث عن هذا التطابق في الخارج مع القوى الكبرى: كقوة السوق والإعلام والأنظمة الشمولية، مما يعني أن القيم التي يؤسس لها المجتمع الصناعي المعاصر هي في تناقض تام مع تلك القيم التي نادت بها الحداثة في انطلاقتها الأولى، كاحترام كرامة الإنسان باحترام كل حقوقه، ونبذ التفرقة الدينية والعرقية والعنصرية بكل أشكالها. أراد فروم أن يدرس نمط العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الغربي المعاصر حتى يقيم درجة تماسك أو هشاشة بنائها الاجتماعي، فتوصل إلى نتيجة مخيبة مفادها تلاشي رباط الحب الإنساني بين الأفراد، حيث أصبح المجتمع الغربي عبارة عن ذرات أو أفراد مغتربون عن بعضهم البعض، والشئ الوحيد الذي يحافظ على تماسكهم هي المصلحة الذاتية وضرورة استفادة كل شخص من شخص آخر¹⁸. فالحياة في المجتمع الصناعي المعاصر فقدت معناها، إذ أصبح الفرد يعيش حياته كما لو كانت مشروعا تجاريا، فإذا فشل في تحقيق أهدافه يقدم على الانتحار، وهذه الظاهرة تزداد تفاقما يوم بعد يوم¹⁹. بعد أن شَخَّص فروم الداء أو المرض الذي أصاب المجتمع الغربي المعاصر عمل على البحث عن الأسباب التي أدت إلى غياب الإنسان الغربي واغترابه. فما هي أسباب هذا الاغتراب ؟

يلخص فروم أسباب الاغتراب وشقاء الإنسان الغربي المعاصر في سببين رئيسيين هما: غياب الحرية الإيجابية وغياب الفاعلية والحيوية والتلقائية. إن عصر الحداثة في نظر فروم عبّر بشكل صريح عن موت الإنسان الغربي، ومن الملاحظ أن هذا الوصف الذي قدّمه فيلسوف النزعة الاشتراكية الإنسانية يقف على الطرف النقيض مع تلك الرؤى التي قدمها مجموعة من الفلاسفة الذين اعتبروا الحداثة الغربية بمثابة انبثاق إنسان جديد. إن موت الإنسان لدى فروم يتجسد في غياب الذات الأصلية التي تحدثت عنها الفلسفة الوجودية؛ تلك الذات التي تعي ذاتها على أنها خالقة أفعالها، ومسؤولة كل المسؤولية عن النتائج التي تنجر عنها²⁰. يعتبر فروم الحرية التي يتمتع بها الإنسان الغربي المعاصر حرية ناقصة، لذا عليه استكمالها من كل جوانبها. لقد مهد عصر الإصلاح الديني لحرية المعتقد، وبعده قامت الرأسمالية بتشجيع الحريات الفردية وغرست في نفس الإنسان الغربي الحديث فكرة الحرية في التصرف في حياته، وتحمل نتائج أفعاله الناجحة منها والفاشلة، إلا أن حرية المعتقد والحرية الاقتصادية غير كافيتين، إذ لا بد للإنسان الغربي أن يتحرر من القيود الداخلية (السيكولوجية)، أي من النزعة التواكلية التي انتقلت إليه من الموروث الديني التسلطي، لأن فروم يقسم الأديان إلى أديان إنسانية تشجع الحياة وأديان تسلطية تكرس قيم الخنوع والرضوخ سواء لقوة الإله كما في المسيحية مثلا أو القوى المجهولة ممثلة في الرأي العام وسلطة العلم والتكنولوجيا وعبادة مؤسسات الدولة... إلخ

يعتبر فروم مارتن لوتر (1483-1546) Luther Martin وجون كالفن (1509-1564) Jean Calvin من بين الممهدين لغياب الحرية الإيجابية في المجتمع الغربي المعاصر، لأن اللاهوت الإصلاحية قدّم لنا صورة لإنسان منعزل (فردية) يواجه بمفرده قوة الإله، تماما مثلما يواجه الرأسمالي قوة الاقتصاد وقوة السوق، ورغم أن النظام الرأسمالي حرر الإنسان الغربي من العديد من القيود التي كبلته في الماضي، إلا أنها جعلته أكثر عزلة ووحدنة، وبثت فيه الشعور بالاجدوى والعجز²¹. فإذا كان الفرد في المجتمع الإقطاعي يؤدي دورا ثابتا في تلك البنية

الاجتماعية الشبيهة بالبنية العضوية أين يؤدي كل فرد الوظيفة التي تسند إليه مسبقا من قبل المجتمع، فإن الرأسمالية المبنية على أساس الحرية الفردية أعطته الحرية التامة في التصرف في مواجهة مصيره، وهنا بالذات يكمن الخلل، لأن الرأسمالية وجهت اهتمامها للربح والكسب المادي فقط، وبهذا تم الاستغناء عن كل الروابط التي يمكن أن تجمع الأفراد ببعضهم البعض، وجعلت الرابطة الوحيدة التي تضمن تماسك المجتمع الغربي الحديث والمعاصر هي المصلحة الفردية.

إن حصر الحرية الفردية في المجال الاقتصادي (حرية المنافسة والربح المادي) أدى إلى ضياع الرباط الروحي (الحب الإنساني)، وانطفاء الجانب العاطفي لدى الإنسان الغربي المعاصر، وأصبح كل فرد بمثابة وسيلة يحقق بها غاية معينة، ففقد الإنسان قيمته، كما فقدت الحياة معناها، وأصبح الإنسان يشعر بالعجز التام وهو يواجه الآلة الاقتصادية التي يعمل ويكد من أجل تطويرها، وبهذا فقد حريته وتلقائيته الطبيعية، وتحول إلى مجرد آلة، في حين يعتبر فروم الحيوية والإنتاجية كتلقائية داخلية يتمتع بهما كل فرد ما لم يكن معاقا عقليا وانفعاليا أو عاطفيا²². ويقصد فروم بالحيوية والإنتاجية الطريقة التي يعبر بها كل فرد عن خصوصيته باستعمال تلك الملكات الطبيعية المتأصلة فيه، وكل اغتراب عند فروم يرمز إلى غياب الفاعلية والإنتاجية، وهي كلها مفاهيم يوظفها للتعبير عن نمط اتصال الإنسان بنفسه وبالأخرين وبالطبيعة (العالم). يرفض فروم كل اتصال تحرضه المنفعة الشخصية والجشع، ويعتبر صاحبه معوقا انفعاليا، لأن الإنسان عنده هو كائن منتج، والإنتاجية هنا تحمل معنى الإبداع، أي إبداع تلك الأشياء التي تساهم في تطوير فن العيش، وبهذا لا يستوي العامل في مصنع القنابل والرشاشات والطبيب الذي يعمل كل ما بوسعه لإنقاذ حياة المرضى. ولكي يكون الإنسان منتجا لا بد أن يربط نفسه بالعالم وب نفسه عن طريق العقل والحب، ويعني فروم بالعقل هنا القدرة على تعقل وتبصر ماهية الأشياء، كما يحمل العقل معنى الحب وكل اتصال يوظف العقل توظيفا خال من الحب يعد اتصالا اغترابيا.

3 - الصنمية وفقدان المعنى:

إن الصنمية التي يتحدث عنها فروم لا تعني عبادة الآلهة، بل يقصد بها عبادة المادة، فهو ضد ذلك الموقف الذي اتخذه الإنسان الغربي الحديث اتجاه المادة بإضافته الطابع المادي على كل ما هو حي إلى حد "خضوع الإنسان للأشياء، وإنكار ذاته ككائن حي، مفتوح"²³. فأصنام اليوم غير أصنام الماضي، لأن الإنسان الحديث تحرر من الموقف التقليدي الذي كان يرجو الخلاص الأخروي بالخضوع لسلطة الكنيسة. أصنام اليوم تتجسد في نظر فروم في: "جشع المال، السلطة، الشهوة، المجد، الطعام والشراب..."²⁴، إلا أن المرض يبقى نفسه وهو الاغتراب الشامل للإنسان والإحساس بالضجر وفقدان المعنى. يوضح فروم أن النزعة التكنوقراطية الحديثة أفضت إلى تفضيل الربح والمال والأعمال على حساب حب الحياة والاهتمام بها. ويؤكد أن مثل هذه النزعة المبنية على استبعاد الأحاسيس والعواطف لصالح الاهتمام بالربح ستؤدي حتما إلى كارثة، لأن تجريد الإنسان من إنسانيته وتحويله إلى مجرد آلة سيؤدي به إلى الجنون وفقدان الماهية والعجز عن بناء مجتمع تتوفر فيه عناصر البقاء.

يرى فروم أن المجتمع الغربي المعاصر يعيش تحت وطأة النفوذ المتعاطم للشركات الكبرى والخوف الدائم من الحرب النووية والتهديد المناخي الناتج عن الاحتباس الحراري وما ينجم عنه من كوارث طبيعية. فأصبح الناس يتصفون بحالة العجز والسلبية، فبات من العسير إحداث تغيير في هذا المجتمع²⁵. فرغم أن الطريق إلى إعادة بناء المجتمع الجديد وصيانتته من الأمراض الناجمة عن الإيديولوجية التكنوقراطية يبدو مسدودا في الوقت الحالي حسب فروم إلا أن هناك بصيص من الأمل يكمن في تلك الفئة المتزايدة من الناس الذين انتبهوا إلى نقائص هذا المجتمع، وهؤلاء يؤكدون أن العالم الغربي إذا أراد أن ينجو من الكارثة النووية ويتجاوز الأزمة الأخلاقية التي أفرزتها الإيديولوجية الصناعية فلا بد أن يغير نظام قيمه وأخلاقه، "ويقيم نظاما جديدا - يتضمن- موقفا جديدا من الطبيعة يتضمن تضامنا وتكافلا إنسانيا شاملا"²⁶. هذا نداء من أجل حياة الانسجام بين الأفراد والأمم، ولتكاثف الجهود من أجل إحلال القيم الإنسانية الجديدة هذا من جانب، ومن جانب آخر يتفاعل فروم بإمكانية إحداث هذا التغيير وذلك لتنامي السخط على هذا النظام الصناعي، لأن السواد الأعظم من المجتمع الغربي يعاني من مرض العصر المتمثل في العزلة وخلو الحياة من المعنى نتيجة العمل دون انقطاع؛ هذا الشعور بالخواء الروحي من شأنه أن يفقد الإنسان الغربي المعاصر إلى الثورة على الأوضاع السائدة.

V - الطريق إلى التغيير وميلاد المجتمع السوي:

يتفاعل فروم بإمكانية التغيير السلمي الذي يقوم على مجموعة من الإصلاحات منها ما هو سياسي، اقتصادي، اجتماعي، وتربوي... الخ. هذه الإصلاحات من شأنها أن تؤسس مجتمعا سويا، فما هي صفات هذا المجتمع السوي؟ وما هو النظام الاقتصادي الجدير بخلق إنسان جديد يتصف بكل الصفات الإنسانية؟

لم يدع إريك فروم إلى التغيير الجذري عن طريق الثورة كما فعل ذلك هربرت ماركيز، بل قدّم مجموعة من الآراء التي تندرج ضمن مشروع إصلاح شامل، هذه الإصلاحات تمس كل المجالات، ففي الجانب الاقتصادي عرض اقتراحات من شأنها أن تقضي على حياة السأم والضجر والسخط التي كرسها النظام الاقتصادي القائم على مبدأ العمل والكسب المادي. والنقطة التي انطلق منها فروم في مشروعه الإصلاحي الاقتصادي تتمثل في إعادة النظر في الأسس

والفرضيات التي بني عليها الاقتصاد الصناعي الغربي، حيث نادى إلى ضرورة مواءمة التقنية للإنسان، مما يعني أن القاعدة الأخلاقية التي يجب أن يبنى عليها الاقتصاد هي: خلق شروط العمل التي تتوافق مع الرضا النفسي للفرد. فلبناء اقتصاد سليم لابد من الاهتمام بالإنسان، مما يعني أن الغرض من التصنيع لا يجب أن يتلخص في تحقيق الثروة والربح، بل لابد من توفير شروط العمل التي تحقق الراحة النفسية للعامل، فالتركيز هنا لن يكون على الكسب والربح بل على العامل سواء في الانجاز الجماعي أو الشخصي. كما يؤكد فروم على نقطة مهمة تتمثل في توفير وضمان دخل سنوي لكل فرد، والغرض من هذا الإجراء هو عدم اعتماد الفرد على غيره، لأن التبعية الاقتصادية غالبا ما تمهد لظروف العبودية وتجعل الإنسان تابعا لمن يعيله²⁷، كما ينادي فروم إلى عقلنة الاستهلاك وتفاذي التبذير وتشجيع التغذية الصحية، ونبد التغذية المرضية التي تجعل الفرد عاجزا عن أداء مهامه²⁸. ودائما في إطار الإصلاح الاقتصادي يدعو فروم إلى نبذ الصناعة الحربية وإحلال صناعة مؤنسنة تقوم على إحلال التعاون السلمي. وهو يؤمن بأن المجتمع الغربي لديه امكانيات ليعيش حياة سلمية دون حاجته إلى تدمير وتعذيب الآخرين.

أما في الجانب السياسي فإن فروم ينادي إلى ضرورة إحلال الديمقراطية التشاركية مكان الديمقراطية الشكلية التي بنيت عليها المجتمعات الغربية المعاصرة، وتقوم ديمقراطية المشاركة على المناقشة الجادة لمختلف المشاكل والقضايا العالقة، وهذا عن طريق تأسيس هيئات تتكون من خمس مائة عضو لتتولى مهمة مناقشة القضايا العامة بكل جدية، ولكل فرد الحرية في عرض رأيه والاستماع للرأي الآخر، لأن في مثل هذه النقاشات المباشرة يصعب على المرء مغالطة الآخر وتخدير وعيه. ويؤكد فروم على ضرورة اجتماع هذه الهيئات كل شهر من أجل النظر والنقاش في أهم القضايا السياسية، وسيتم انتخاب الموظفين المسؤولين واللجان التنفيذية كل سنة²⁹. كما يدعو إلى إجراء إصلاحات في المجال السياسي، إذ نجده يلح على ضرورة الانتقال من نظام المركزية إلى اللامركزية، لأن بيروقراطية الدولة التي نحتتها الرأسمالية المعاصرة ستلد في نهاية المطاف أنظمة ديكتاتورية كالفاشية والنازية، فيتحول الإنسان إلى مجرد متلق بلا روح نقدية، فلا يساهم مساهمة جادة في اتخاذ القرارات التي تخص مستقبله. في حين أن ديمقراطية المشاركة التي يطالب بها فروم تقوم على التشاور بين أعضاء المجتمع، وذلك بإشراك كل شرائح المجتمع في اتخاذ القرارات الحاسمة المتعلقة بمستقبل الجميع.

كما ينادي فروم إلى تحقيق مجتمع منسجم تسوده قيم المحبة والإخاء والتآزر والتعاون، لأنه يهدف إلى تأسيس دولة عالمية تنبذ العنف والتدمير وتنشد التحلي بالتربية الأخلاقية العالية، وهذا لن يتحقق إلا بتأسيس اقتصاد عالمي يقوم على التعاون بين كل بلدان العالم³⁰. والفكرة الأساسية التي صاغها فروم نحو تحقيق السلم العالمي تتمثل في إنشاء هيئة رقابة تمنع أو تسمح باستخدام الاكتشافات العلمية النظرية في هذا المجال التطبيقي أو ذاك، ولابد أن تكون هذه الهيئات مستقلة تماما عن الصناعة والحكومة، وذلك بتأسيس المجلس الثقافي الأعلى الذي يتولى مسؤولية تأسيس هذه الهيئات والإشراف عليها، والغرض من هذا هو منع المصالح الصناعية والعسكرية من الاستيلاء على المجالات التطبيقية للبحث العلمي³¹. هذا المجلس يتألف من رجال ونساء ذوي أخلاق عالية وثقافة راقية، أي يتضمن أولئك الذين يتمتعون بثقافة ذات التوجه الإنساني، وفروم مؤمن انه لا يزال في المجتمع الغربي مثل هؤلاء المثقفين الذين يفضلون قيم الحياة على قيم الضجر والتدمير والموت، وإليهم توكل مهمة بعث الأمل وتربية المجتمع الجديد.

كما اهتم فروم بالجانب الثقافي والتعليمي-التربوي حيث يرى أن التغيير الجذري لطبع الإنسان الجديد يبدأ أولا من المدرسة، فهي التي نعد الفرد على المشاركة الفعالة والحية وفي تكوين ذاته. وذلك بإعداد الشباب بالتعليم النظري في المراحل الابتدائية، أما في الثانوية فلا بد أن نولي الأهمية أكثر للجانب العملي التطبيقي، ليكون النشأ على دراية بالجانب النظري والعملي معا، إذ لا ينبغي أن نفصل ما هو نظري عما هو تطبيقي. كما يشترط فروم أن لا يتخرج أحد من المدرسة دون أن يتعلم حرفة أو صنعة يدوية تشعره بالرضا النفسي، ولابد أن تدمج الممارسة العملية للحرف اليدوية والتقنية الصناعية الحديثة في المرحلة الثانوية³². كما دعا أيضا إلى إعادة بعث روح المشاركة والتعاون بين الأفراد، وذلك من خلال تشجيع الفنون والنشاطات الجماعية التي تسمح ببناء علاقات الحب والأخوة والانسجام بين الأفراد. يسعى بهذا إلى ربط الإنسان بالعالم فنيا، فلسفيا وعلميا. فكل معرفة بالنسبة إليه هي فن، لأن الفن مرتبط أصلا بالحب الإنتاجي، والفنانين بالنسبة لإريك فروم يتمتعون بالقيم الإنسانية والأخلاق الرفيعة، لذا يمكنهم أن يساهموا في بناء طبع المجتمع الجديد الذي يطمح إليه أريك فروم³³.

أما عن الطريقة التي نحوي بها هذه الفنون الجماعية من جديد، فإن فروم يعلق كل آماله على المدرسة وروضات الأطفال، مما يعني أن تلقين المجتمع القيم الأخلاقية النبيلة تتم في مرحلة مبكرة من العمر، وتلعب المدرسة وروضات الأطفال دورا كبيرا في إرساء نمط الطبع الإنتاجي الذي يحرر الأفراد من الأنانية والجشع التي كرسها النظام التكنوقراطي المعاصر. حتى يتعلم الأطفال قيم التعاون والتعايش منذ الصغر. ويمكن أن يمتد هذا النمط من التعليم الفني على نطاق واسع في المجتمع، حيث يمكن تأسيس جماعات فنية بين العمال في المصانع أو في القرى... الخ. ومن شأن المذيع أن يغذي هذه الجماعات الفنية بالأدب الراقي، وفروم يفضل المذيع على التلفاز، لأن الأول يجذب انتباه الأفراد ويحث على التفكير، أما الثاني فيعتبره وسيلة من وسائل الاستهلاك السلبي نظرا لما يقدمه من برامج معدة مسبقا لعدم الإيديولوجية الصناعية³⁴.

وفي إطار مشروعه الإصلاحي الشامل نادى فروم إلى ضرورة تغيير دين المجتمع الجديد أو ما يسميه الإطار المرجعي الذي يشكل الخارطة المرجعية التي تقود سلوك الأفراد والجماعات. ويقول فروم موضحاً معنى الدين في نظره: "أريد أن يكون واضحاً منذ البداية أنني أفهم الدين بأنه أي مذهب للفكر والعمل، تشترك فيه جماعة، ويعطي للفرد إطاراً للتوجيه وموضوعاً للعبادة"³⁵. أما عن طبيعة الدين الجديد الذي سيعتقه مجتمع فروم فيتمثل في احترام كرامة الإنسان، وتشجيع قيم الحياة والإنتاجية والتلقائية، وقيم الحب والأخوة، ونبذ قيم العنف والتدمير والإبادة. ومن الواضح أن فروم عاد لإحياء التراث الديني بأشكاله اليهودي والمسيحي والديانة البوذية وكل أشكال المعتقدات التي تنص على احترام الإنسان وزرع روح المحبة بين البشر، وهذا من أجل إحياء الجانب العاطفي الذي انطفأ لدى الإنسان الغربي المعاصر جزاء التقاليد التي كرستها الأيديولوجية التكنولوجية.

VI - خصائص المجتمع السوي:

بعد أن انتهى فروم من ضبط الإصلاحات الضرورية لتجاوز أزمة الحداثة الغربية وإحلال مجتمع سوي يتحلى بكل صفات الإنسانية، انتقل إلى تحديد ملامح الإنسان الجديد، فما هي طبيعة هذا الإنسان؟ وما هي الصفات الأساسية التي يتميز بها؟ هل الإنسان الجديد سيأتي من عالم آخر لينقذ الإنسانية؟ ما هي المهمة الحضارية الملقة على عاتقه؟

يمكن أن نتصور ملامح الإنسان الجديد الذي يريده فروم أن يعيش في مجتمعه السوي من خلال نموذج الإصلاحات الذي اقترحه للخروج من أزمة الحداثة الغربية الناجمة بالدرجة الأولى عن تدهور الأخلاق وضمحلها في مجتمع غلبت عليه قيم التصنيع والاقتصاد. إن الإنسان الجديد الذي يبحث عنه فروم ليس إنساناً غريباً عن هذا العالم، والمجتمع السوي الذي أراد إرساءه، أفراد من نسل المجتمع الصناعي، ففروم لا ينبذ كل منتجات الحضارة الغربية، لأنه يؤمن بوجود فئة من الناس تتقن فن العيش كما أشرنا سابقاً، واليه يسند بناء المجتمع السوي وتكريس القيم الإنسانية النبيلة. إن مشروع المجتمع السوي عند فروم سيتأسس على المدى البعيد من خلال إعادة إحياء رابطة الحب الأخوي بين أفراد الإنسانية جمعاء. إن الأساس الذي يبني عليها مجتمعه السوي يتجسد في الحب الذي يحقق معنى المحبة والتآخي بالإضافة إلى مبدأ المسؤولية. ولا ينبغي أن نفهم المسؤولية على أنها استجابة لشيء مفروض من الخارج. بل إن المسؤولية التي يوظفها فروم تشبه مسؤولية الأم على أولادها، فهي تتضمن الاهتمام، الرعاية والاعتناء والحب كما تتضمن في الن ذاتها المحافظة على الحياة³⁶. إن المجتمع الذي يتطلع إليه فروم لا بد أن يعمل على المحافظة على الحياة بكل صورها وأينما كانت (الإنسان، الحيوان، الطبيعة) تماماً مثلما تسعى الأم على رعاية وحماية كل أبنائها. إن سلوك المجتمع السوي لا بد أن يكون كاستجابة لذلك الصوت الداخلي للإنسان، ذلك الصوت الذي يوصينا بالاهتمام بكل ما هو موجود، أو بكل ما هو حي، بكل ما نحبه.

VII - خاتمة:

تمكّن إريك فروم من تقديم تحليل دقيق للحضارة الغربية المعاصرة، فقد سلط الضوء على تلك الجوانب القائمة من الحضارة الغربية، وقام بتعريفها ليظهر الوجه الآخر للإنسان الغربي الذي يحركه الجشع ونقد الجوانب السلبية للحداثة، وقدم بعض السبل التي من شأنها أن تنقذ البناء الحداثي الغربي من التلف. لم يكن فروم متشائماً على غرار بعض الفلاسفة أمثال هيربرت ماركيز بل كان متفائلاً كل التفاؤل ومؤمناً بوجود إمكانات كثيرة جديدة بتخليص المجتمع الغربي من الاغتراب الشامل وتغيير نمط الإنتاج والتصنيع من الوضع المرضي الاغترابي إلى الوضع الصحي الإنتاجي، فلا استحالة في ذلك إذا توفرت الإرادة البشرية التي تعيد توجيه إمكانات الحضارة الغربية من النزعة التدميرية إلى النزعة الإنسانية، وهو على ثقة أن المجتمع الغربي قادر على تغيير الوضع القائم والتعافي من مرض النيكروفيليا الذي أصابه، وذلك بإعادة الاعتبار للإنسان وكرامته وتمجيد قيمه وأخلاقه، لأن أزمة المجتمع الغربي في نظره هي أزمة أخلاقية بالدرجة الأولى. هدف فروم من مشروعه النقدي هذا هو تأسيس المجتمع السوي، والحل الذي يقدمه لتجاوز أزمة الاغتراب الشامل التي يعاني منها المجتمع الغربي المعاصر يكون بتوجيه كل الطاقات التي تزخر بها الحداثة الغربية إلى خلق شروط الحياة لا شروط الموت، لذا اقترح إصلاحات كثيرة منها ما هو اقتصادي، سياسي، اجتماعي، وثقافي. ودعا إلى ضرورة تدمير كل الأسلحة الحربية والكف عن تطوير مشاريع الموت بمختلف أشكالها، وتوجيه الأموال الطائلة التي تصرف في هذا المجال إلى خدمة الإنسانية. وكانت كل مؤلفاته تجسيدا لنزعة الإنسانية، فكان ضد الاستعباد وقمع الحريات، إذ يعدّ من أحد دعاة الحرية والسلم ونبذ الحروب، فكان من المدافعين عن الثورة الجزائرية، وعمل على اظهار الطابع الاستغلالي للمجتمع الفرنسي الغربي، كما كان ضد الصهيونية، وناضل عن حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها.

قائمة المصادر بالعربية

1. إريك فروم. (1972). الخوف من الحرية (الإصدار ط1). (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

2. إريك فروم. (1989). الإنسان بين الجوهر والمظهر، أن نمتلك أو نكون (الإصدار ط1). (سعد زهران مراجعة وتقديم لطفي فطيم، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
3. إريك فروم. (1989). الدين والتحليل النفسي. (فؤاد كامل، المترجمون) القاهرة: دار غريب.
4. إريك فروم. (2000). فن الحب، بحث في طبيعة الحب وأشكاله (الإصدار ط1). (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار العودة.
5. إريك فروم. (2007). الإنسان من أجل ذاته، بحث في سيكولوجيا الأخلاق (الإصدار ط1). (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون) دمشق، سوريا: منشورات وزارة الثقافة.
6. إريك فروم. (2010). ثورة الأمل، نحو تكنولوجيا مؤنسنة (الإصدار ط1). (مجاهد عبد المنعم مجاهد، المترجمون) القاهرة، مصر: دار الكلمة.
7. إريك فروم. (2013). الحب أصل الحياة (الإصدار ط1). (ناصر ناصر، المترجمون) دمشق: الحوار.
8. إريك فروم. (2013). كينونة الإنسان (الإصدار ط1). (محمد حبيب، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الحوار.
9. إريك فروم. (2015). المجتمع السوي (الإصدار ط1). (محمود منقذ الهاشمي، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الحوار.
10. إريك فروم. (2016). حب الحياة (الإصدار ط1). (حميد لشهب، المترجمون) بيروت، لبنان: الجداول للنشر والتوزيع.

المصادر بالأجنبية

11-Fromm, E. (1973). La Passion de détruire, Anatomie de La destructivité humaine. (T. Carlier, Trad.) Paris, France: Robert Laffront.

الهوامش

- 1- إريك فروم (2013) كينونة الإنسان، الإصدار: ط1 ترجمة: محمد حبيب دمشق: دار الحوار ، ص 21
- 2- إريك فروم (2016) حب الحياة، الإصدار: ط1، ترجمة: حميد لشهب، بيروت: الجداول للنشر والتوزيع، ص 58.
- 3- Fromm, E (1973) La Passion de détruire ,Anatomie de La destructivité humaine. Trad T. Carlier., Paris, Robert Laffront., p. 363
- 4- Ibid, p. 358
- 5- إريك فروم (2015) المجتمع السوي، الإصدار: ط1، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دمشق: دار الحوار، ص 211
- 6- إريك فروم (2007) الإنسان من أجل ذاته: بحث في سيكولوجيا الأخلاق، الإصدار: ط1، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ص 22
- 7- إريك فروم (2013) كينونة الإنسان، ص 25
- 8- إريك فروم (2016) حب الحياة، ص 58
- 9- إريك فروم (2010) ثورة الأمل، نحو تكنولوجيا مؤنسنة، الإصدار: ط1، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة: دار الكلمة، ص 46.
- 10- إريك فروم (2000) فن الحب، بحث في طبيعة الحب وأشكاله، الإصدار: ط1 ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، بيروت: دار العودة، ص 99.
- 11- إريك فروم (2013) كينونة الإنسان، ص 36.
- 12- المصدر نفسه، ص 28
- 13- إريك فروم (2015) المجتمع السوي، ص 215.
- 14- إريك فروم (2013) كينونة الإنسان، ص ص 28-29.
- 15- المصدر نفسه، ص ص 37-38.
- 16- إريك فروم (2007) الإنسان من أجل ذاته، بحث في سيكولوجيا الأخلاق، ص 104.

- 17-المصدر نفسه، 105.
- 18-أريك فروم (2015) المجتمع السوي، ص 231
- 19-المصدر نفسه، 243.
- 20-المصدر نفسه، 211.
- 21- أريك فروم (1972) الخوف من الحرية، الإصدار: ط1، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 98.
- 22- أريك فروم (2007) الإنسان من أجل ذاته، بحث في سيكولوجيا الأخلاق، ص 116.
- 23- أريك فروم (2013) كينونة الإنسان، ص 102.
- 24-المصدر نفسه، ص 108.
- 25- أريك فروم (1989) الإنسان بين الجوهر والمظهر، أن نتملك أو أن نكون، الإصدار: ط1، ترجمة: سعد زهران مراجعة وتقديم لطفي فطيم، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 213.
- 26-المصدر نفسه، ص 114.
- 27- المصدر نفسه، ص 205،
- 28-المصدر نفسه، ص 190-191.
- 29-أريك فروم (2015) المجتمع السوي، ص 439.
- 30-المصدر نفسه، ص 458.
- 31-أريك فروم (1989) الإنسان بين الجوهر والمظهر، أن نتملك أو أن نكون، ص 212
- 32-أريك فروم (2015) المجتمع السوي، ص ص 442-443.
- 33المصدر نفسه، ص 445.
- 34-أريك فروم (2013) الحب أصل الحياة، الإصدار: ط1، ترجمة: ناصر ناصر، دمشق: دار الحوار، ص170.
- 35-أريك فروم (1989) الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، القاهرة: دار غريب، ص 25.
- 36-أريك فروم (2007) الإنسان من أجل ذاته: بحث في سيكولوجيا الأخلاق، ص 132.